

المقبر

الكواكب السائرة

من المخطوطات في التراجم التي تنصل بطبعها سلسلة تواريخ القرون كتاب الكواكب السائرة بمناقب اعيان المئة العاشرة للنجم الغزي ومنه نسخة جيدة في الخزانة الناصرية بدمشق دخلت في ثلاثة اجزاء وببلغ عدد اوراقها ١٦٤ بالقطع الكامل وفي آخرها جزء رابع جعله المؤلف ذيلًا على كتابه هذا وهو خمسون ورقة قال فيه انه الفه لتنام سنة ثلاث وثلاثين بعد الالف وهي السنة التي جاءت بكل عجب قال وسميته لطيف السمر وقطف الثمر من تراجم اعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر . وقد كتب الاصل والفرع سنة اثنتين وستين ومئة والف قال المؤلف بعد مقدمة طويلة : واني طالما كنت اتشوق الى تأليف كتاب يجمع تراجم المتأخرين من اهل المئة العاشرة من العلماء الانجاء فلم اجد من تعرض لهذا المعنى او دخل في هذا الباب غير ان الشيخ المحدث الفخري شمس الدين محمد بن طولون الحنفي ألف كتابًا جمع فيه تراجم طوائف من اواخر المئة التاسعة واولائل المئة العاشرة سماها بالتمتع بالافران ولم اقف على مجموع هذا الكتاب وانما وقفت على نحو كراسة منه فاستدلت بالصباغة على العباب ووقفت له ايضا على الجزء الثاني من تاريخه الذي جعله لحوادث الزمان وسماه بمفاتيح الاخوان واوله من مستهل سنة سبع وعشرين وتسعمائة الى ختام سنة احدى وخمسين فرأيت ذكر فيه وفيات من بلغه وفياتهم في تلك المدة لكنه لم يخرج فيه لتراجمهم من عهده ثم وقفت بعد على الجزء الاول منه فرأيت ابتدأ فيه من اول سنة ثمانين وثمانمائة وهي سنة ميلاده وانتهى فيه الى سنة ست وعشرين وتسعمائة وكنت قد وقفت قبل ذلك على

قطعة من تاريخ كتاب الحافظ العلامة بدر الدين العلائي الحنفي في حوادث القاهرة من سنة سبع عشرة وتسعمائة الى اواخر سنة اربع وثلاثين ثم وقفت على تعليقه بخط والد شيخنا الشيخ الامام الفقيه ابو الندى شرف الدين يونس العيثاوي الشافعي رحمه الله تعالى على فيها وفيات شيوخه وبعض اقوانه وترجم اكثرهم فذكر من مآثر كل مترجم ما يليق بمقامه ومكانه ثم وقفت على قطعة صالحة من تاريخ العلامة شهاب الدين احمد الحمصي الخطيب الشافعي الذي ضمنه من مهمات الحوادث والوفيات فاذا هو تاريخ عجيب غير انه سلك فيه مسلك الايجاز والتفريب فدعاني ذلك الى تأليف هذا الكتاب فجمعت فيه من تراجم القوم ما يغلو في السوم ويحسن له الانتحاب وتحريته فيه بقدر الطاقة والامكان وجه الحنى والصواب وسأكت بين طريقي الايجاز والاطناب لانه اقرب لتساؤل المنتصدين واقنع لمن يريد الكشف من احوال المترجمين معتمداً فيما نقله على خطوط هؤلاء المشايخ او على خط من يوثق به من كل ذي قدر في العلم شامخ وقدم في الفضل راسخ او على ما تلقبته من افواه المعترين واخذته عن الفضلاء البارعين مما يدخل في تراجم الاعيان او تاريخ مواليدهم او وفياتهم بحسب الامكان من اهل القرن المذكور من العلماء الاعلام بدمشق الحروسة وحلب وغيرها وبلاد الشام ومن علماء القاهرة والحرمين الشريفين حسبما تيسر لنا مع التحري والاجتهاد في كل مقام وضمنت الى ذلك بقية من تراجم اعيان الفتح العثماني ووفيات اعيان الملك السلطاني من اتفقت وفياتهم فيما حدث من الزمان منتخبة لذلك من الشقائق النعمانية ومن رحلة والذي المسماة بالمطالع البدرية ومن غيرهما بما بلغني وتحققته وتلقيته عن الثقات وتلقنته واخضت الى ذلك ايضا من تراجم سلاطين القرن المذكور وملوكه ليتم نظم الكتاب في فلائد عقباته وسلوكه معتمداً في هذا النوع على كتاب الاعلام بما في مكة من الاعلام للشيخ العلامة المبرز عن الاقران القطب الحنفي المكي عرف بابن قاضي خان وعلى غيره ايضا مما تيسر لنا الاطلاع عليه في هذا الشأن ثم افني وقت بعد ذلك على تاريخ العلامة رضي الدين ابن الحنبلي الحلبي الحنفي المسمى بدر الحلب في تاريخ اعيان حلب وهو كتاب في مجلد ضمنه ثنتين مشتمل على الفتن والسمين والثنافة والتمين وربما فيه بعض التراجم بما لا تعلق له بالمرام وليس له بغير التاريخ الثناء وربما اكل الاسماء لئلا يخلو الحرف من التراجم بنقاش او تاجر او منن او مطير او عاشق او معار او غيرهم من العوام فانقبت منه تراجم بعض اعيان كتابه وضمنتها الى كتابي واعرضت عما لم يقع اختياري عليه مما اتي به وليس في بابيه

حسبما قضى به تمييزي وانتخابي لاني وضعت هذا الكتاب على اسلوب اهل الحديث والالتقان ولم ارسمه كيف اتفق ولا على اي وضع كان ثم وقفت على تاريخ مختصر الامام المحدث المسند المعتبر ابي الفاخر عبدالقادر المحيوي ابن التميمي الشافعي سماه بالعنوان في ضبط مواليده ووفيات اهل الزمان وقد ذيل عليه ولده العلامة المحيوي بمجي الدين فانتقيت منه ما لا غنى لكتابنا عنه ثم وقفت على اجقات الاولياء الكبرى والوسطى وكلاهما للشيخ القدوة الشيرازي عبدالوهاب فانتقيت منه ما دخل في شرط كتابي من تراجم الصالحين الانجذاب مع ذكر مع ذكرهم الشيخ العلامة الولي المحدث شرف الدين الكناوي من الصالحين ممن يدخل في شروط كتابنا من تراجم المتعبدين في شرح منظومته التي جعلها في تقييد اسماء مشاهير الاولياء والعارفين ومع ذكر تراجم اعيان من اخذ عن شيخ الاسلام الوالد من العلماء والصالحين والبارعين ممن يدخل في شرط الكتاب ايضاً ما يخص ذلك من جزء له كتب فيه تراجم جماعة من المتهمة والملازمين فكان كتاباً جامعاً لزبد هذه الامهات ملخصاً لمفاهيم جماعها من العلماء الاثبات وكل ذلك مع توفير الترائن وشبهة الاسباب وتيسر الجمع والتأليف من قبل الكريم الوهاب وسميته «بالكواكب السائرة بمناقب اعيان المئة العاشرة» وقد وقع الاختيار فيه بعد تقديم اسماء المحمدين على ترتيب حروف المعجم الواقعة في اوائل اسماء المترجمين وعلى تقسيمه الى ثلاث طبقات الاولى فيمن وقعت وفاته من اول القرن الى ختام سنة ثلاث وثلاثين الطبقة الثانية فيمن وقعت وفاته من اول سنة اربع وثلاثين الى ختام سنة ست وستين الطبقة الثالثة فيمن وقعت وفاته من اول سنة سبع وستين الى نهاية سنة الف اهـ .

وترجم صاحب خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر المؤلف الغزي في ست ورقات ويؤخذ منها انه ولد سنة ٩٧٧ ونشأ على شيء من الطاب وله مؤلفات منها هذا التاريخ ومنها شرحه على الفية التصوف لجدّه وله كتاب في ترجمة والده . وله كتاب الذبابة في التشبيه قال فيه المحبي انه كتاب بديع في سبع مجلدات لم يسبق الى تأليفه وهو ان يذكر ما ينبغي للانسان ما يتشبه به من افعال الانبياء والملائكة والحيوانات المعمودة وما يتشبه من اجتناب ما يلزم فعله . وقال انه خاتمة حفاظ الشام وكانت وفاته سنة ١٠٦١ عن ثلاث وثمانين سنة وعشرة اشهر وانتفع به اناس كثيرون ونقلوا العلم عنه

اليك زبدة ترجمة المؤلف وعصره كما ترى ليس من العصور الراقية في الاسلام
ولذلك نراه على فضل فيه مأخوذاً بمؤثرات عصره يغلط الجيد بالرديء او يشوب الجيد
الكثير بهنات لاننا نرى بين كان مثله ولكن هو المحيط يعمل في عقل المرء مالا بعمله
كل تعليم وارشاد .

خذ مثلاً لذلك مارواه المؤلف من تراجم لانا س تسخي ان تعدم من العامة لان
العامة ارق منهم عقلاً وديناً ولعمري اي دخل لكتاب في تراجم اعيان قرن ان
يدس سيف جملتهم اناس لاخلق لم خرقوا حدود الشريعة بدعواهم خرق العادات
وعبثوا بقول العامة فسرت بدعهم الى الخاصة . قل لنا بايك اي داع للمؤلف ان
يترجم اناساً من البله السفهاء ارباب الجذب مثل ابراهيم المني المذبذب وعبد الله الكردي
المذبذب وشعبان المذبذب ومحمد المذبذب وعمر العقيلي المذبذب وابي بكر بن المجنون
ومروان المذبذب وذو النون الكحلاني المذبذب واحمد ابوطايقه وفرج المصري المذبذب
وخميس المذبذب وسويد ابن المذبذب وسويد المذبذب الى غيرهم من المجاذيب والمجانين
الذين هم احرى بان يجمعوا في دور المعتوهين من ان يحذروا في عداد العلماء العاملين
امثال شيخ الاسلام زكريا الانصاري والشيخ حسن البوريني والجلال السيوطي والسيدة
عائشة الباعونية وغيرهم ممن كانوا منار الامة في ذاك القرن

تالله ان شيخ الاسلام زكريا والسيدة الباعونية لا يرضيان بان يذكر اسمهما مع
اسماء اولئك الذين قضى عليهم باختلال تراكيب ادمعتهم وقضى على الامة بصنم
علمائها ان يقدسهم ويتباركوا بهم فقابلوا ضعف العقول بضعف مثله واخلل بما هو
اشد منه عاراً .

مانظن عاقلاً يرضى بان يعد في الاولياء سويد المذبذب وهو باقرار المؤلف يتناول
الحشيش فيغيث ويهذي ومثله تلك الطبقة من المجاذيب والمجانين وشيخنا المؤلف يقول
للتناظرين في كتابه اعتقدوا كما اعتقد بهؤلاء السفهاء

وكي ذلك فالكتاب ليس من الكتب المتقنة لان المؤلف لم يشغل بعلم التاريخ
اشتغاله مثلاً بعلم الحديث ولذلك كان كحاطب ليل في بعض صفحات كتابه . وماذا
تفيد الامة ترجمة محمد بن مبارك القابوني مثلاً الذي ترجمه بانه كان رئيساً في عمل
الموالد ! ندي الصوت حسنه بعيد النفس عارفاً بالموسيقى الا انه كان ذليلاً بلعن وكان
احد المؤذنين المشهورين بالجامع الاموي ورئيس المؤذنين بالدرويشية والسبائية .

ان نفس الفاريه تثلج اذا قرأت ترجمة علي بن ميمون مثلاً وكانت بعض اهل عصره يعتقدون فيه الخير والصلاح وهو على جانب من العلم فاذا يضر مؤلفنا لو كان اقتصر على الثمينة بثلثه وبغيره من العلماء واطرح من عداهم ممن لاغناء فيهم الانكبير حجم الكتاب وتلوينه بثلث الهنات وبما لا يقع كلامنا هذا الموضع المفبول من قلوب بعض من يحبون ان يحسنوا ظنهم بعباد الله اما المؤرخ والاجتماعي فلا يقتضيه من الخلق ان يذكروا كلهم بالمحمدة على قاعدة التساوي فيعتاط صالحهم بطالحهم وعاقلمهم بجنونهم بل لا يرضى الا ان يقدّر كل واحد وما يعمل فقد قيل في بعض الآثار اذكروا الفاسق بما فيه وقيمة كل امرئ ما يصنع .

ان القول بخرق العادة وتعدّي نظام الطبيعة ليس هذا محل الجدال فيه وعلماء الاسلام انفسهم على اختلاف بينهم فيه ومنهم من تكلم بمجهاً ومنهم من أثر السكوت والسكوت قد يضر في مثل هذه المواطن . اما كرامات الاولياء التي ينسبها بعض احبابهم لم وهم لا يدعونها على الاغلب على نحو ما نسبوا امورا للجبلي والرفاعي وغيرهما من العلماء فانها تدخل في باب خرق العادة وهذه لا ينقل اخبارها الا من يحلمون بها في مقامهم وينظّمونهم فاذا كان البشر نسبوا الى اناس عرفت ترجمتهم على ما يجب اموراً لم يأتوا بها ولا ذكروا افهام احرياء ان يلبسوا مع ضعف المدارك على بعض الصالحين كرامات لم يخطر لهم في بال وهالك الآن ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية ^(١) في هذا المعنى فهو اصح ما قرأناه وعساه يوقف عنده المعتقدون ولا يغفونهم ان كل من قرأ قوانين الوجود وزكّن معنى خرق العادة يستحيل عليه ان يؤمن بما اتفاه علماء الاسلام حتى في القرون الوسطى قال ابن تيمية :

ومن اظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يحضب المحارم بل قد باقى بما ينافض ذلك لم يكن لاحد ان يقول هذا ولي الله فان هذا ان لم يكن مجنوناً بل كان متولياً من غير جنون او كان يفتب عقله بالجنون تارة ويقتى اخرى وهو لا يقوم بالفرائض بل يعتقد انه لا يجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر وان كان مجنوناً باطنياً وظاهراً قد ارتفع عنه القلم . وقال نقلاً عن الشيخ ابي سليمان الداراني انه ليقع في قلبي التكنة من نكت القوم فلا اقبلها الا بشاهدين الكتاب والسنة وقال ابو القاسم الجنيدي علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن وبكث الحديث لا يصلح له

(١) الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان

ان يتكلم في علمنا اوقال لا يقتدى به وقال ابو عثمان النيسابوري من امر السنة على نفسه قولاً وفعلًا فطلق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه قولاً وفعلًا نطق بالبدعة لان الله تعالى يقول في كتابه القديم « وان تطيعوه تهتدوا » .

وقال : نجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونهم ولياً لله انه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الامور او بعض التصرفات الخارقة للعادة مثل ان يشير الى شخص فيموت او يطير في الهواء الى مكة او غيرها او يمشي على الماء احياناً او يملأ ابريقاً من الهواء او يتفق بعض الاوقات من الغيب او ان يخفي احياناً عن اعين الناس او ان بعض الناس استغاث به وهو غائب او ميت فراه قد جاءه فقص حاجته او يخبر الناس بما سرق لم او بحال غائب لم او مريض او نحو ذلك من الامور وليس في شيء من هذه الامور ما يبدل على ان صاحبها ولي لله بل قد اتفق اولياء الله على ان الرجل لو طار في الهواء او مشى على الماء لم يقر به حتى ينظر متابعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقه لأمره ونهيهِ وكرامات اولياء الله تعالى اعظم من هذه الامور الخارقة للعادة وان كل قد يكون صاحبها ولياً لله فقد يكون عدواً لله فان هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين واعل الكتاب والمنافقين وتكون لاهل البدع وتكون من الشياطين فلا يجوز ان يظن ان كل من كان له شيء من هذه الاسرار انه ولي لله بل يعتبر اولياء الله بصفاتهم وانعالم واحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ويعرفون بنور الايمان والقرآن وبحقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام الظاهرة مثال ذلك ان هذه المذكورة وامثالها قد توجد في اشخاص ويكون احدهم لا يتوضأ ولا يصلي الصلوات المكتوبة بل يكون ملابساً للنجاسات معاشرراً للكلاب بأوي الى الحمامات والقمامات والمقابر والمزابل رائحته خبيثة لا يتطهر الطهارة الشرعية ولا ينتظف الخ

وبعد هذا ننقل للقاري نموذجاً من ترجمة المؤلف لرجل جليل في عصره وهو علي بن ميمون دفين مجدل معوش من اعمال شوف لبنان نوردته بدون تذييل عليه ليستنجد القاري لنفسه ان تلك الكرامات التي ينسبها المؤلف للمترجم به لم يقل هو بها بل ادعاها له احبابه ومريدوه ومعظمهم قد يكونون مأخوذون بحجة لا ينظرون الى الواقع الا من وجه واحد قال المؤلف مائنه :

علي بن ميمون بن ابي بكر بن علي بن ميمون بن ابي بكر بن يوسف بن اسمعيل بن ابي بكر بن عطاء الله بن ميمون بن سليمان بن يحيى بن نصر يوسف بن عبد الحميد بن

بقرزواز روق (?) بن وسكون بن عربي بن هلال بن محمد بن ادريس بن عبد الله
ابن حسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم كذا باقي النسب في
ترجمته لابن طولون الشيخ المرشد المري القدوة الحجة ولي الله تعالى العارف به السيد
الشريف الحبيب النسيب ابو الحسن ابن ميمون الهاشمي القرشي المغربي الغاري الفاسي
اصله كما قال ابن طولون من جبل غارا بالغين المعجمة من معاملة فاس . وقال الشيخ
موسى الكناوسي اصله من غماره وسكن مدينة فاس واشتغل بالعلم ودرس ثم تولى
النضاه ثم ترك ذلك ولازم الغزوة على السواحل وكان رأس العسكر ثم ترك ذلك ايضاً
وصحب مشايخ الصوفية ومنهم الشيخ عرفة القيرواني فارسل الشيخ عرفة الى ابي العباس
احمد التوزي الديلمي وقال التباي بالثاء . ومن عنده ترجمته الى المشرق قال الشيخ موسى
فدخل بيروت في اول القرن العاشر وكان اجتماع سيدي محمد بن عراق به اولاً هناك
ولما دخل بيروت مكث ثلاثة ايام لم يأكل شيئاً فاتفق ان ابن عمران كان هناك واتي
بطعام فقال لبعض جماعته ادع لي ذلك الفقير فقام السيد علي بن ميمون واكل وقال
ابن عراق لاصحابه قوموا بنا نزور الامام الاوزاعي فصحبهم ابن ميمون لزيارته ففي اثناء
الطريق لعب ابن عراق على جواده كعادة الفرسان فعاب عليه السيد علي بن ميمون
فقال له انم عن لعب الخيل اكثر مني قال نعم فنزل ابن عراق عن فرسه فتقدم اليها
سيدي علي فحل الحزام وشده كما يعرف وركب ولعب على الجواد فعرفوا مقداره في
ذلك ثم انفتح الامر بينهما الى ان اشهر الله تعالى الشيخ علي بن ميمون وصار من
امره ماصار .

قال الشيخ موسى كذا اخبرني علي الغرياني المغربي عن شيخه علي الكيزواني عن
سيدي محمد بن عراق وقال في الشقائق انه دخل القاهرة وحج منها ثم دخل البلاد
الشامية وروى كثيراً من الناس ثم توطن بمدينة بروسا ثم رجع الى البلاد الشامية وتوفي
بها قال وكان لا يخاف السنة حتى قتل عنه . قال : لو اتاني السلطان ابو يزيد بن عثمان
لا اعامله الا بالسنة . وكان لا يقوم للزائرين ولا يقومون واذا جاءه احد من اهل العلم
يفرش له جلدة شاة تعظيماً له وكان قوالاً بالحق لا يخاف في الله تعالى لومة لائم وكان
له غضب شديد اذا رأى في المريدین منكراً يضرهم بالعصا قال وكان لا يقبل وظيفة
ولا هدايا الامراء والساطين وكان مع ذلك يطعم كل يوم عشرين نفراً من المريدین
وله احوال كثيرة ومناقب عظيمة انتهى

وكان من طريقته ما حكاه عنه سيدي محمد بن عراق في كتاب السفينة انه لا يرى لبس الخرقه ولا الباسها وذكر الشيخ علوان رضي الله تعالى عنه انه كان لا يرى الخلوة ولا يقول بها وكان اذا بلغه ان احداً سبه او ذمه ونسب به الى جهل او فسق او بدعة يتأول ما يتأول عنه وكان يقال عنه كنز وكيماوي ومطالي فيقول : نعم انا كنز وعندي كنز عظيم ولكن لا يطلبونه ولا يسألوني عنه وانا كيماوي ولكن لا يطلبون ما عندي من الكيمياء وانا مطالي وعند مطلب نفسي مزهود فيه ويشير الى كنز العلم ومطلب المعرفة وكيماه الحقيقة وكان كثيراً ما يقول جواب الزفوت السكوت .

ومن وصاياه اجعل تسعة اعشارك صمتاً وعشرك كلاماً . وكان يقول الشيطان لا وحي وفيض فلا تغتروا بما يجري بنفوسكم وعلى السنتكم من الكلام في التوحيد والحقائق حتى تشهدوا من قلوبكم . وكان اذا اتاه متظلم من الحكماء يقول : له اصلح حالك مع الله فمن اصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما بينه وبين خلقه وكان ينهى اصحابه عن الدخول بين العوام وبين الحكماء ويقول ما رأيت لهم مثلاً الا الفار والحيات فان كلا منهما مفسد في الارض فالحيات مسلطة على الفار والفار مسلطة على الناس وكذلك العوام سلط بعضهم على بعض فسلط الله تعالى الحكماء عليهم وكما انه لا بد ان يسلط على الحية قاتلاً يقتلها او يأتئها اجلها سلط على الظالم ظالماً آخر وكان شديد الانكار على علماء عصره وكان يسمى القضاة القضاة والمشايع المشايخ والفقهاء الفقهاء من وقع اللين اذا فسد . وكان من كلامه لا ينفع الدار الا ما فيها وكان يقول ايضاً لا تشغل بعدة اموال التجار وانت مفلس . وكان يقول اسلك ما سلكوا تدرك ما ادركوا . وكان يقول لا تخطئوا الحقائق ويستدل بقوله تعالى « ولا تلبسوا الحق بالباطل » وكان يقول عجبت لمن يقع عليه نظر المفلاح كيف لا يفلح . قلت وهو منقول عن سيدي احمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه .

وكان يقول يبصر احدكم القذاة في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عينه قلت هو حديث رواه الامام احمد بن حنبل في طريق ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه يبصر احدكم القذى في عين اخيه وينسى الجذع في عينه وكان يقول كنزك تحت جدارك وانت تطلبه من عند جارك

وله كلام غير هذا وله من المؤلفات شرح الاجرومية على طريقة الصوفية وكتاب غريبة الاسلام في مصر والشام وما والاها من بلاد الروم والاغمام ورسائل عدة منها

بيان فضل خيار الناس والكشف عن مكر الوسواس ورسالة الاخوان من اهل الفقه وحملته القرآن وكشف الافادة سيفه حق السيادة ومواهب الرحمن وكشف عورات الشيطان وتذكرة السالكين وتذكرة المرید المتیب باخلاق اصحاب الحبيب كذا في ترجمته لابن طولون ومنها رسالة لطيفة سماها تنزيه الصديق عن وصف الزنديق ترجم فيها الشيخ محي الدين بن العربي وذكر في اولها ان سبب تأليفها انه دخل دمشق في سنة اربع وتسعين وثمانمائة فسمع عن بعض اهلها استنفاص الشيخ محي الدين بعد ان زار الشيخ عبد القادر بن حبيب الصفدي بها في شعبان من هذه السنة وهو الذي عرفه بابن العربي وبمقامه في الصالحية قال وكنت استمع به في المغرب ولا ادري من حاله سوى انه من اهل العلم والخير فقصدت زيارته فانتهيت الى حمام ^(١) يقال له حمام الجورة فسألت من الحمامي ان يفتح لي باب مقامه فصعد من بعض الجدران وفتح لي باب مقامه فوجدته ليس فيه اثر العواد وفيه عشب بابس يدل على ان احداً لا يأتيه الى ان قال ثم قمعت عند قدميه الكريمتين كما ينبغي بل اقول قمعت على سوء الادب اذ هو ان اقف خارج المقام بالكلية في مقام السائل المفتر لكن اخطأت واسأل الله تعالى بملطفه ان يثوب عليّ ذلك قال رأيت في مشهد قبره عند رأسه حجراً مكتوباً فيه قوله تعالى « ادع الى سبيل ربك » الآية فعند ذلك قوي نور اعتقادي في الشيخ وتزايد نوراً عليّ نور حتى ملا ظاهري وباطني وكنت قصدت بلاد ابن عثمان رجاء الجواز من هناك الى المغرب فدخلت برصة غرة المحرم سنة خمس وتسعين فلما كان سنة تسع وتسعمائة دخل بنا الى ثقييد بعض مكات في اظهار شيء من محمود صفاته

« ١ » وذكر علي بن ميمون في رسالة له مخطوطة اسمها تنزيه الصديق عن وصف الزنديق ما يشبه هذه القصة وقال ان قصد صالحية دمشق سنة اربع وتسعمائة ليزور الشيخ الاكبر فلم يجد من يوصله اليه لشدة خوف العامة من ظلم الفسقة الخاصة المنتقدين وانه سأل عن مقامه فذكر له بالثبوت من بعيد وقيل له اسأل على موضع كذا فاذا وصلته فسجد هناك حماناً فهو في جواره قال ثم اتيت حتى انتهيت الى الحمام فسألت الحمامي ان يفتح لي الباب لادخل الى المقام واشاهد القبر فتجبل الحمامي وصعد من بعض الجدران وفتح لي باب المقام الخ ويستدل من هذه القصة ان قبر الشيخ محي الدين بن العربي كانت تحظر زيارة في القرن العاشر على نحو ما يزار الآن ويالح العامة وبعض الخاصة في القلعة بزيارة فاين هذا مما عليه العامة الآن من شد الرحال اليه كل اسبوع فتأمل

ثم ذكر رحمه الله تعالى ترجمة الشيخ ابن العربي رضي الله تعالى عنه ودل هذا الكلام منه على انه كان له اعتقاد زائد في ابن العربي وهو مبالغه اعيان المتأخرين من العلماء المحققين والصوفية التعمقين رضي الله تعالى عنهم اجمعين ودل هذا الكلام منه ايضا انه رضي الله تعالى عنه دخل دمشق قبل القرن العاشر وذكر سيدي محمد بن عراق رضي الله تعالى عنه في كتاب السيفة ان سيدي علي بن ميمون دخل دمشق سنة اربع وتسعمائة وذكر ابن طولون في تاريخه مفاكحة الاخوان ان سيدي علي بن ميمون اول ما دخل دمشق دخل في اواخر سنة اثني عشرة وتسعمائة فهرع الناس اليه للتبرك به ونزل بحارة السكة بالصالحية وصار يعمل بها ميعاداً ويرشد الناس

ومن صعد اليه للاخوة الشيخ عبد النبي شيخ المالكية والشيخ شمس الدين بن رمضان شيخ الحنفية وسلكا علي يديه وخلف انتهى ولاتناني بين هذا وبين ما تقدم لان ما ذكره ابن طولون هو مبلغ علمه اذ لم يعلم بقدمة ابن ميمون الاولى والثانية حتى ذكر هذا الكلام وايضاً فان سيدي علي بن ميمون لم يشتهر في بلاد الغرب بالعلم والشيخة والارشاد الا بعد رجوعه من الروم الى حماة سنة احدى عشرة ومكث بها مدة طويلة ثم قدم منها الى دمشق في سابع عشرين رجب سنة ثلاث عشرة وتسعمائة كما ذكره سيدي محمد ابن عراق في سفينته وتقدم في ترجمة ابن عراق من هذا الكتاب

قال ابن عراق واقام يعني شيخه ابن ميمون في قدمته هذه ثلاث سنوات وخمسة اشهر واربعة عشر يوماً يربي ويرشد ويسلك ويدعو الى الله تعالى تبارك (كذا) سيدي الشيخ عبد النبي مفتي المالكية وسيدي محمد بن رمضان مفتي الحنفية وسيدي احمد بن سلطان كذلك وسيدي عبدالرحمن الحموري مفتي الشافعية وسيدي اسماعيل الدناي خطيب جامع الخنابلة وابو عبدالرحمن قيم الجامع وسيدي عيسى التباقي المصري وسيدي احمد بن الشيخ حسن وجاره حسن الصواف وسيدي الشيخ داود المعجمي انتهى

قلت وكان ممن اصطحب به شيخ الاسلام الجدر رضي الله تعالى عنه وكان يحضر سيدي علي بن ميمون درسه وبجالة فكان الجدر رضي الله تعالى عنه يقول لابن ميمون حين يحضر عنده يا سيدي علي امسك لي قلبي امسك لي قلبي

ومن اجتمع به شيخ الاسلام الوالد وكان يومئذ في سن الثمان اوالثسع لكنني لم اتحقق عنه انه اخذ شيئاً اولا ثم يأخذ به وكان شيخنا الشيخ حسن الصافي المقرئ يذكر انه رأى سيدي علي ابن ميمون وحضر بجالسه فعلى هذا يكون بحمد الله قد صحبنا في طريق الله تعالى من صحبه .

ومن كراماته انه حصلت بين رجلين من الفقراء التجردين عنده منافرة فخرج احدهما على وجهه فسمع الشيخ بذلك فقال لمن كان السبب في ذلك اما ان تأتي به واما ان تذهب عني فلم يلبث يسيراً الا والذي خرج على وجهه قد دخل على الشيخ وهو يكي وذكر ان الشيخ تشكل له في صورة اسد وكان كما توجه الى طريق منعه من سلوكها .

ومن كراماته ان المطر حبس بدمشق في سنة ثلاث عشرة وتسعمائة فكثب سيدي علي بخطه درجاً الى نائب دمشق سيدي فخر الناب بالدرج الى الجامع الاموي في يوم الجمعة رابع رمضان فقرأ على مفتي دار العدل السيد كمال الدين بن حمزة وقضاة القضاة الثلاثة الشافعي ابن فرغور والمالكي خير الدين والحنبلي نعم الدين بن مفلح فاذا فيه آيات من القرآن العظيم واحاديث من السنة في التحذير من الظلم ثم انتقل الى الفقهاء والقضاة فحذرهم من اكل مال الاوقاف ثم حث على الاستغفار وذكر ما يتعلق بذلك ومن نقل ذلك من السلف بحيث ان سيدي ذرف دمه فهم في اثناء قراءة الدرج وقع المطر وجاء الله تعالى بالغيث كذلك ذكر هذه الواقعة ابن طولون وانا لاشك في انها كرامة ظاهرة وانتقد ابن طولون على الدرج المذكور ان صاحب الترجمة تعرض فيه لذكر الشيخ نبي الدين بن قاضي عجлон ولذكر غيره ولاهمم فيه على ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانا اقول لانتقاد عليه في ذلك اصلا فانه اراد النتيجة فاعل ان الفتنة التي وقعت بين التقوي ابن قاضي عجلون وابن اخيه السيد كمال الدين وبقية اعيان دمشق بسبب هدم التربة كما تقدم شرحها في ترجمة السيد وغيرها ايضا انما كانت بسبب توجه سيدي علي بن ميمون بقلبه عليهم وتكدر خماره وبؤيد ذلك ان هدم التربة المذكورة كان في ثالث رمضان المذكور ثم استغنى الشيخ نبي الدين في هذه الايام في هذه الوقعة وافنى بعدم الهدم ثم حاجت الفتنة بعد ذلك وانتشر شرها وتطايير شررها حتى طلب الشيخ نبي الدين وابن اخيه قاصرون الى السلطان الغوري بمصر وصورر باموال كثيرة ولا حول ولا قوة الا بالله

ثم رأيت ابن طولون ترجم سيدي علي بن ميمون في التمتع بالاقران وذكر من مصنفاته بيان فضل خيار الناس والكشف عن منكر الوسواس والرسالة الميمونية في توحيد الجرومية وبيان غربة الاسلام ورسالة الاخوان من اهل الفقه وحملة القرآن وكشف الافادة في حسن السيادة ومواهب الرحمن في كشف عورات الشيطان وغير ذلك وقال قدم دمشق فغلغله الشيخ عبد النبي وانزله بحارة السكة بالصالحية وهرع الناس للسلام عليه

طلبة العلم والفضلاء والعلماء والنضاة والامراء وصار يسأل كلاً من اسمه وينباه عن ذكر القلب ان ذكره ثم عن حرفته ويوصيه بشقوى الله تعالى ثم يوجه نفسه الى القبلة ويرفع يديه الى وجهه ويقرأ له الفاتحة ويدعوه ويصرفه وان رأى في ملبسه شيئاً منكراً ذكره .
قال ثم عقد للتسليك مجلساً في منزله فتلذ له خلق من المذاهب الاربعة كالشيخ عبد النبي من المالكية والشمس بن رمضان من الحنفية والشهاب ابن مفلح من الخنابلة والزين المحوري من الشافعية وآخر من تسلك على يديه منهم القاضي ابو عبد الله محمد ابن عراق وشاع ذكره وبعد صيته وصار كلامه مسموعاً عند الامراء خصوصاً نائب الشام سيباي ولم فيه اعتقاد زائد

ثم قال ابن طولون اجتمعت به وملت عليه ثم ترددت الى مجلسه فمارأت عيني اعظم شأناً منه لكنه كان يستنقص الناس وقال احياناً ما رأيت في هذه المملكة اعلم من ابن حبيب الصفي قال وكان ابن حبيب مشهوراً بحجة ابن العربي ويتبجح بها انتهى .
قلت وما ذكره عنه انه كان يستنقص الناس هذا انما كان من سيدي علي بن ميمون على سبيل التنهيز لمن يستنقصه وينكر عليه لان على سبيل احتقار الناس واستصغارهم وتأيد نفسه عليهم

ومن كرامات ابن ميمون رضي الله تعالى عنه ، اذ ذكره الشيخ علوان في شرح تائية ابن حبيب ان رجلاً من اعيان دمشق وفضلائها في العلم والتدريس قال ياغني اذه فقس فيه ان لا يكون منه نتيجة وكان ذلك بعد ان تجرد ذلك الرجل وارترك انواعاً من الرياضة والمجاهدات وحكى سيدي محمد بن سيدي علوان في تحفته قال — اخبرني شفاهاً جمع من سكن قرية مجدل معوش التي هي قرية الشيخ وقبره فيها انه كان في جوارهم وفي قريتهم كروم قد بست اغصانها وفست عروقها وتعطلت بالكلية فدخل الشيخ المذكور تلك الاراضي عادت الاراضي المجعدة مخضبة وعادت اشجار العنب المذكورة ايضاً الى احسن ما يكون وايضت ثمارها قال وهي مستمرة من ذلك الى الآن الى هذا الزمان ولم يعرف ذلك الا من بركته .

وذكر ايضاً ان بعض اهل العلم حكى له وقد توجه لزيارة قبر سيدي علي بن ميمون رضي الله تعالى عنه في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة فقال ان من غريب كرامات من انتم متوجهون لزيارته ماشاهدته ببني ذلك ان رجلاً من الاجناد ارسل كلباً قال اوصقراً على غزال فركضت الغزال حتى جاءت الى الارض التي هو مدفون فيها فدخلها واجتمعت

في ظل الشيخ فقيل للجندي دعها فانها قد فعلت فعل العائذ بقبر الشيخ فلم يلتفت الى مقالتهم وجاء اليها وهي قائمة فلم تبرح من مكانها حتى امسكها الجندي بيده وذبحها واكل من لحمها فلما فرغ من اكله اخذه وجع في بطنه واستمر حتى مات من ليلته فلما غسل كان لحمه على المغسل متقطعاً قطعاً حتى كأنه اكل شيئاً مسموماً قالت فعلت انا وغيري ان ذلك كله من بركة الشيخ انتهى .

وكان سبب انتقال سيدي علي بن ميمون من دمشق الى مجدل معوش وهي قرية من معاملة بيروت انه دخل عليه وهو بصاحبة دمشق قبض واستمر ملازماً له حتى ترك مجلس التأديب واخذ يستفسر عن الاماكن التي في بطون الادوية وروثوس الجبال حتى ذكر له سيدي محمد بن عراق مجدل المعوش فهاجر اليها في ثاني عشر المحرم سنة سبع عشرة وتسعمائة قال سيدي محمد بن عراق ولم يصحب غيري والولد علي وكان منه عشر سنين وشخصاً آخر عملاً بالسنة وافقت معه خمسة اشهر وتسعة عشر يوماً وتوفي ليلة الاثنين حادي عشر جمادى الآخرة ودفن بها في ارض موات بشاهق جبل حسبما اوصى به قال ودفن بعده خارج حضرته المشرفة رجلان وصبيان وامرأتان وايضاً امرأتان وبناتان الرجلان محمد المكنى لمي وعمر الاندلسي والصبيان عبد الله وكان عمره ثلاث سنين وموسى بن عبد الله التركاني وامرأتان ام ابراهيم وبناتها عائشة زوجة الدعري والمرأتان الآخرتان مريم القدسية وفاطمة الحوية وسألته عند وفاته عن امور منها اين اجعل دار هجري فقال : مكان يسلم فيه دينك ودنياك ثم تلا قوله تعالى « ان الذين توفاهم الملائكة » الآية وقال ابن طولون في حوادث سنة سبع عشرة وتسعمائة من تاريخه و يوم الجمعة تاسع عشر يعني جمادى الآخرة بعد صلاتها بالجامع الاموي نوذي بالسدة بالصلاة غائبة على الشيخ العالم السيد علاء الدين علي بن ميمون المغربي . قال وقد صم انه توفي ليلة الخميس حادي عشره بتل بالقرب من مجدل معوش وبه دفن انتهى . ولم يختلف قول سيدي محمد بن عراق في السقينة وقول ابن طولون والشيخ موسى الكناوي ان سيدي علي بن ميمون توفي في ليلة الحادي عشر من جمادى الآخرة غير ان في كلام ابن طولون انه كان يوم الخميس ولقد سمع انه كان يوم الاثنين وقول ابن طولون اصح لانه ارخ هو والحضي وغيرهما مستهل جمادى المذكورة انه كان يوم الاثنين فيكون حادي عشرة يوم الخميس بلا شك رحمه الله تعالى اهـ